# القيادة والموقف

تراري بن عيسى

من الأسباب الأساسية التي أضعفت الأعمال الجماعية الإسلامية ، وأدت إلى ترهلها وضعف تماسكها : مواقفها من الأحداث والكيفية التي تعاملت بها مع المتغيرات . وهذا لأن اتخاذ المواقف ، يُعَدُ من أصعب المهمات بالنسبة لقيادة أي عمل جماعي ، بل إن الموقف هو الذي يُميز القيادات عن بعضها البعض ، كما أنه يُعبر عن مدى فهمها ونضجها .

وعلى مُتخذ الموقف أن يجابه صعوبتان لا مفر منهما :

⊙ صعوبة الوصول إلى الموقف السليم والمناسب للحدث ، وهذا يتطلب فهماً عميقاً لما يحمل من أفكار ومبادئ ، ومعرفة ناضجة لمتغيرات الواقع ، وقدرة على الموازنة بين مجموعة من الخيارات .

⊙ صعوبة إقناع الآخر قريباً كان أو بعيداً .

ولقد رأينا أنه حتى مع قيادة مثل الرسول ﷺ ، وقد وجد صعوبة في إقناع أتباعه ، بل حتى أنضجهم ( مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ) ، عندما دخل الرسول القائد في حوار مع مشركي مكة والجدل الذي قام به بعد إمضاء معاهدة الصلح إذ تقول كتب السيرة : « حدثت في معسكر المسلمين دهشة عامة للطريقة التي سلكها رسول الله مع أعدائه . قال الزهري : فلما التأم الأمر و لم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر أليس برسول الله ؟ قال : بلى . قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ قال أبو بكر : يا عمر الزم غرزه – أمره – فإني أشهد أنه رسول الله . قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله . ثم أتى رسول الله فقال : ألست برسول الله ؟ قال : بلى . قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ قال : أنا عبد الله ورسوله ، ولن أخالف أمره ، ولن يضيعني » .. « ثم هاجت في نفوس المسلمين خيبة الأمل وعراهم وجوم ثقيل لهذه النهاية الكئيبة ، وزاغت نظراتهم لما ركبهم من الحرج المفاجئ .

فلما فرغ الرسول ﷺ من قضية الكتاب قال لهم : قوموا فانحروا ثم احلقوا — ليتحللوا من عمرتهم ويعودوا إلى المدينة — فلم يقم منهم رجل ، حتى قال ذلك ثلاث مرات . فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت أم سلمة : يا رسول الله أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك ، وتدعو حالقك فيحلقك . فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك ، فلما رأى المسلمون ما صنع النبي زال عنهم الذهول ، وأحسوا خطر المعصية لأمره ، فقاموا — عجلين — ينحرون هديهم ، ويحلق بعضهم بعضاً ، حتى كاد بعضهم يقتل الآخر لفرط الغم » [1] .

والسيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين غني بالأحداث التي وجدت فيها القيادة صعوبة في إقناع قاعدتها بصحة مواقفها وآرائها . ولولا عزيمة وإصرار القيادة ، ونضج قاعدتها وثقتها في قيادتها لما استطاعت الجماعة أن تكمل طريقها نحو أهدافها ، ولتحطمت تحت جدار صغائرها .

وحتى يتمكن أي عمل جماعي من مجابهة هاتين المعضلتين ، عليه قبل أن يتخذ أي موقف ، أن يُجمِعَ على الآلية أو الأرضية التي تبنى عليها المواقف . لأن مواقف أي عمل جماعي هي اجتهاد جماعي يجب أن تحدد ضوابطه وخطواته وإطاره مسبقاً . ولا ينبغي أن يترك لكل فرد الحرية في الاجتهاد بالطريقة التي شاء ، حتى إذا كان الحدث تم اختيار الموقف الذي تراه الأغلبية ، تحت شعار الشورى أو الديموقراطية أو ..

إن التعسف في مفهوم الشورى وحرية الرأي و.. قد يؤدي بالجماعات والمؤسسات إلى الشرذمة والانقسام ، إن لم يضبطها ضابط .

◎ إن الموقف ، عمل مؤسساتي مبني على جهود جماعية أثناء الحدث وقبل وقوعه أيضاً . وذلك لأنه ثمرة لجهود كبيرة من المتابعة الدعوية والعميقة للمتغيرات .

◎ إن الجماعة الناجحة هي التي تستبئ الأحداث ، وتحضر نفسها لها ، لا لتكون مواقفها صحيحة فقط ، وإنما لتؤثر فيها .

◎ من طبيعة كل جماعة وجود فريق فيها تؤهله مواهبه وقدراته العقلية إلى فهم وتحليل بعض الملابسات والمعطيات المعقدة ( يتمثل هذا الفريق في القيادات العليا والقيادات الميدانية ) ، وفريق قد تستعصي عليه فهمها وتحليلها ( يتمثل في القاعدة أو المناضلين الميدانيين ) . وليس في هذا أي انتقاص من شأن الفريق الثاني .

---

(1) محمد الغزالي : فقه السيرة .

وكل ما يرجى هو تكامل الفريقين وأن تعمل كل جماعة على تنمية عناصرها حتى تكون غنية بما يكفي بعناصر من الفريق الأول .

◎ أحياناً تجد القيادة نفسها ، تمشي على حبل مشدود وهي بحاجة بشكل دائم إلى اتخاذ قرارات صعبة وإلى إجراء موازنات دقيقة ، وهذا كله يحتاج إلى اتصاف القيادة بصفة مهمة هي " الحكمة " ، والحكمة هي التي تملي على القيادة أن تتكلم في موقف من المواقف ، وتسكت في موقف آخر ، وهي التي تجعلها تخطو إلى الأمام في بعض الأحيان ، وخطوات إلى الوراء في أحيان أخرى :

وأحب أن أشير إلى بعض خصائص الموقف :

* قد يكون الإحجام والرفض هو الموقف المناسب لبعض الظروف ، لكن يجب ألا يكون هو الأصل . وإلا لدخلت الجماعة في إطار السلبية ، مع العلم أن الرفض والإحجام هو من أسهل المواقف وأقلها تكلفة في المدى القريب .

* بعض الناس يثبتون وجودهم ويزكون أنفسهم بالنقد الدائم لكل شيء وبالمواقف السلبية وحدها لا بالعمل الإيجابي ، ويظنون أن عملهم هذا بطولي وشجاعة .

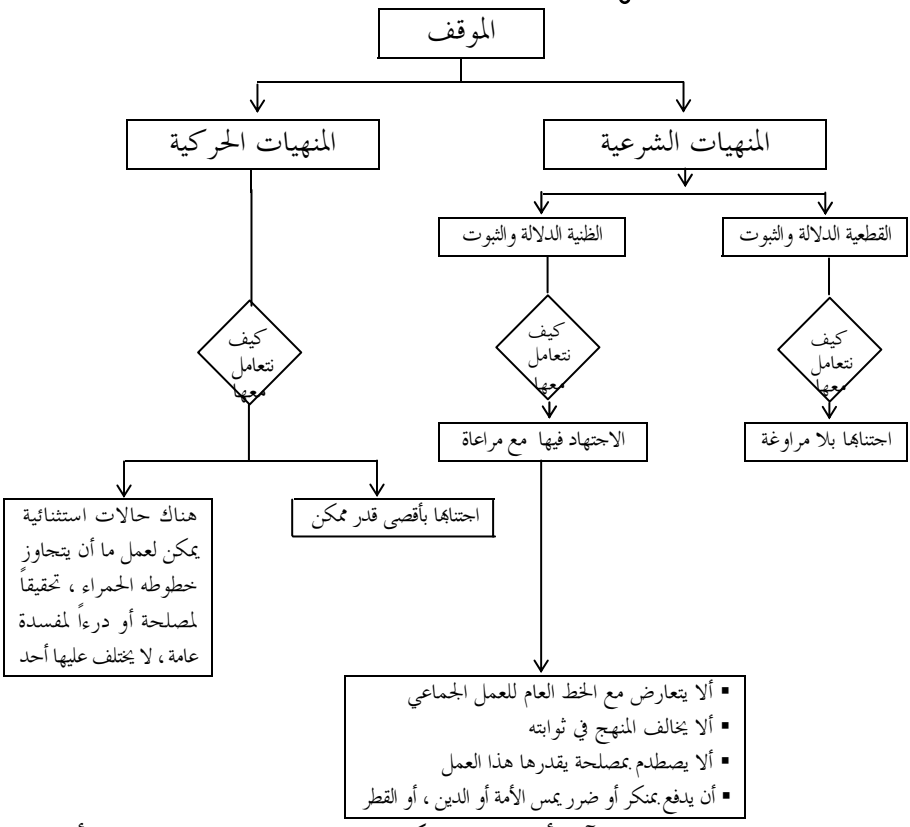
* المواقف البطولية ليست بالضرورة المواقف السليمة والصحيحة ، رغم أهميتها وضرورتها أحياناً ، لأن الشجاعة والبطولة لا تعني عدم الخوف ، ولا هي عدم المبالاة بالآخرين أو بالأخطار المحدقة ، ولا هي الاندفاع نحو تحقيق الغايات دون أدنى روية أو فطنة ..

* لا يمكن لمواقفنا من المتغيرات أن تكون ثابتة ، وإلا اعتبرت الأحداث متغيرات ، كما أن مواقفنا لا يمكن أن تكون قوالب جاهزة أو عبارات متكررة .

* قد لا نلجأ إلى أفضل المواقف دائماً ، وقد نختار أقلها سوءاً أحياناً .

* لا يكفي أن تكون مواقفنا صحيحة فقط وإنما يجب أن تكون مناسبة أيضاً .

* الموقف الحكيم هو الذي يجمع ولا يفرق ، يقرب ولا ينفر ، وفي النهاية هو الذي يخدم مصلحة الدين والمسلمين ، ولعل من الحكمة أن أوضح بعض جوانب هذه الآلية حتى لا نبقى في العموميات . وقد ركزت على جانب المنهيات وعلاقتها بالموقف ، لأنها تثير كثير من الجدل ، والخائض فيها كمن يمشي بين الأشواك بحذر ، محتاطاً من وكزها ، لكن هيهات ، هيهات لا بد من ألمها .




قد لا يعترض على هذه الآلية أحد ، وقد يكون للبعض تعديلات عليها ، إلا أن المشكلة هي إن هذه الآلية أساسها الاجتهاد ورغم أن أغلب العاملين في حقل العمل الإسلامي يؤمنون بالاجتهاد نظرياً ، لكنهم يخنقونه عملياً ، بخلقهم تفكيراً نمطياً ، يعتبر كل جديد دخيل أو زيغ عن الطريق . وهذه هي المأساة !! والتفكير النمطي يلون الرؤية بألوان محددة ، فلا يقبل ولا يتفاعل إلا مع الألوان والاجتهادات التي تعزز من طبيعة ذلك التفكير ، ونكون بهذا التفكير قد فرضنا على أنفسنا عزلة رهيبة عن الآخرين وعن الآراء التي تبدو وأنها مخالفة لتفكيرنا النمطي الذي يتقدس مع الزمن ويصبح هو مقياس الصحيح والخطأ . وبهذا سيتحول الظني إلى قطعي ، والمختلف عليه في مرتبة المجمع عليه ، مما يؤدي إلى التعصب المقيت وإماتة أية أرضية للتفاهم المشترك مع كل من لم يتكوّن تركيبه العقلي على نحو ما تكوّن لدينا .